

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْكِرَامُ،

إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْمَصَائِبِ الَّتِي ابْتُلِيَتْ بِهَا الْبَشَرِيَّةُ؛ الْعُنْصُرِيَّةُ. أَنْ يَحْمِلَ الْإِنْسَانُ تَجَاهَ أَخِيهِ الْإِنْسَانَ عَدَاوَةً لَا مُبَرَّرَ لَهَا سِوَى أَنَّهُ مِنْ عِرْقٍ آخَرَ. وَلَيْسَ هَذَا مُوقَفًا عَدَائِيًّا ضِدَّ الْإِنْسَانَ فَحَسْبُ، بَلْ هُوَ اغْتِرَاضٌ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ، سَبَبُهُ عَدَمُ الرِّضَى بِقِسْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَبِالْإِخْتِلَافِ الَّذِي خَلَقَ النَّاسَ عَلَيْهَا. يَقُولُ الْمُؤَلَّى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۗ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ).¹

إِخْوَتِي الْأَعْرَاءُ،

الْإِنْسَانِيَّةُ لَيْسَتْ حَدِيثَةً الْعَهْدِ بِهَذِهِ التَّبَلِيَّةِ. فَقَدْ كَانَتْ الْعُنْصُرِيَّةُ مِنْ أَكْبَرِ مَصَائِبِ الْإِنْسَانِ مُنْذُ أَنْ وُجِدَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ. وَلَقَدْ عَانَتْ الْبَشَرِيَّةُ وَدَاقَتْ الْوَيْلَاتِ مِنْ جَرَاءِ الْحُرُوبِ الَّتِي قَامَتْ بِسَبَبِ هَذَا الْمَرَضِ. وَكَانَتْ الْعُنْصُرِيَّةُ هِيَ الْعَانِقُ الْكَبِيرُ أَمَامَ سِيَادَةِ الْعَدْلِ وَالْخَيْرِ وَالسَّلَامِ. وَإِنَّ دِينَنَا الْإِسْلَامَ حَسَّاسٌ جِدًّا تَجَاهَ هَذَا الْمَرَضِ الْعُضَالِ. فَكَمَا لَا يَسْمَحُ بِظُهُورِ الْعُنْصُرِيَّةِ فِي تَصَرُّفَاتِنَا، فَإِنَّهُ كَذَلِكَ يُحَرِّمُ وَجُودَهُ أَصْلًا فِي قَرَارَةِ قُلُوبِنَا. وَقَدْ رُوِيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَيْسَ مِنَّْا مَنْ دَعَا إِلَى عَصَبِيَّةٍ، وَلَيْسَ مِنَّْا مَنْ قَاتَلَ عَصَبِيَّةً، وَلَيْسَ مِنَّْا مَنْ مَاتَ عَلَى عَصَبِيَّةٍ».²

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْكِرَامُ،

الْمُسْلِمُ لَا يَسْمَحُ لِهَذَا الْمَرَضِ أَنْ يُسَيِّطِرَ عَلَى قَلْبِهِ بِحَالٍ. وَلَيْسَتْ الْفُرُوقُ وَالْإِخْتِلَافَاتُ الَّتِي خَلَقَ اللَّهُ النَّاسَ عَلَيْهَا فِي نَظَرِ الْمُسْلِمِ إِلَّا مَظْهَرًا مِنْ مَظَاهِرٍ غَنِى الْمُجْتَمَعِ. فَإِنَّ حُبَّ الْمُسْلِمِ لِلْخَلْقِ نَاشِئٌ عَنْ حُبِّهِ لِلْخَالِقِ. وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ حَيْثُمَا كَانَ، هُوَ أَجْدَرُ النَّاسِ بِمُكَافَحَةِ الْعُنْصُرِيَّةِ. فَإِنَّ مُصِيبَةَ الْعُنْصُرِيَّةِ هِيَ مِنْ أَعْظَمِ مَا حَارَبَهُ دِينُهُ الْإِسْلَامُ.

إِخْوَتِي الْأَعْرَاءُ،

لَا زَالَتْ الْعُنْصُرِيَّةُ فِي عَصْرِنَا هَذَا مِنْ أَعْمَقِ الْأَمْرَاضِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ. وَرَغْمَ تَطَوُّرِ الْبَشَرِيَّةِ مِنَ النَّاحِيَةِ الْعِلْمِيَّةِ وَالْمَادِيَّةِ، فَإِنَّهُ لَمْ يُصَاحِبْ هَذَا التَّطَوُّرَ تَطَوُّرٌ مُمَاتِلٌ مِنَ النَّاحِيَةِ الْعُنْصُرِيَّةِ. وَمِنْ أَكْبَرِ مَظَاهِرِ هَذَا الْوَقَاعِ، مَا شَهِدْنَاهُ قَبْلَ سَنَتَيْنِ، مِنْ اسْتِهْدَافِ تِسْعَةِ أَشْخَاصٍ أَعْجَبِيِّينَ وَقَتْلِهِمْ عُدْوَانًا فِي مَدِينَةِ هَانَاوِ الْأَلْمَانِيَّةِ. وَهُوَ مِمَّا يُحْتَمُّ مُضِيَّ الْمُسْتَسَاتِ الْحُكُومِيَّةِ وَالْخَاصَّةِ بِجَدِيَّةٍ فِي مُكَافَحَةِ الْعُنْصُرِيَّةِ. وَيَنْبَغِي أَلَّا نَنْسَى وَصِيَّةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِلْمُسْلِمِينَ فِي خُطْبَةِ الْوَدَاعِ، حِينَ قَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ رَبُّكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدٍ، وَلَا لِأَسْوَدٍ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىكُمْ».

أَسْأَلُ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يَحْفَظَنَا وَيَحْفَظَ جَمِيعَ عِبَادِهِ مِنْ شَرِّ هَذَا الدَّاءِ. إِنَّهُ وَلِيُّ ذَلِكَ وَالْقَادِرُ عَلَيْهِ. آمِينَ.

